

# مفهوم « الزمان » في الفكر الرافدي بين الفلك والرياضيات دراسة فلسفية

بقلم : علي حسين الجابري  
مدرس الفلسفة - كلية الآداب -  
جامعة بغداد

## المقدمة :

الامم المجاورة . واغتنرنا منها ايضاً ؛ حتى وصلت تأثيرات حضارة وادي  
الرافدين الى بلاد عيلام شرقاً والخليج العربي واليمن جنوباً ؛ وبلاد الاناضول  
شمالاً وجزائر البحر المتوسط غرباً .

لقد انتقلت القيم الحضارية ( الفلسفية والاجتماعية والعلمية ) مع ما انتقل  
الى الأمم الأخرى ، من سلع وأدوات وانماط حيوية : سلوكية وخلقية ،  
حدث ذلك منذ قامت في الوطن العربي عموماً ، وفي وادي الرافدين على  
وجه الخصوص : دول قوية مركزية : تمتلك كل مواصفات الدولة الرسمية ؛  
تحقق ذلك منذ أيام اورنانشة . واوركاجينا ، ، سرجون الأكدي ، نرام سين ،  
كردبا مرورا ، بلبت عشتر ، وحمورابي ، وأمي صادوقا ، اورنمو ، وسرجون  
الآشوري وآشور بانيبال ونبوخذ نصر ؛ وغيرهم كثيرون

نجح الانسان الرافدي : منذ الألف الخامس قبل الميلاد - في ايجاد  
الأدوات التي يستعين بها على الطبيعة وظروفها القاسية ، بعد ان واجهها بعقل  
واع ، وثقة عالية بالنفس ؛ مدفوعاً بعاملين اثنين : الأول : الحاجة مع الرغبة  
في قيام مجتمع منظم متماسك ومتعاون وآمن . الثاني : الدهشة مما  
يجري حوله من حوادث مردها ظواهر مختلفة ، حاول تفسيرها ، ماخوذاً  
برغبة لا تقاوم في الكشف عن اسرارها ، وربطها بأسبابها وحب لاحتدود له  
في الاستطلاع على مكونات المجهول واكتناه مغاليقه ؛ حتى تمخض عن هذه  
المحاولات : دعائم متينة ، لحياة ( اجتماعية ) - حضارية - منظمة . تمتلك  
كل مواصفات الاصاله ( المعنوية : الخلقية . الروحية ) و ( العملية التقنية  
المادية ) بفضل الأدوات والوسائل التي ابتكرها ، وطورها دوماً ؛ كاختراعه  
للكتابة ، وتشريعه للقوانين ؛ وتأسيسه للدولة ( السلطة ) وعنايته بالعقائد  
والآداب والفنون ، والعلوم والفلسفات ، حتى أصبحت هذه المنجزات بحق ؛  
شهادة على جهادية اسلافنا . وبراءة اختراع ، لمنطلقاتهم العلمية والعملية  
والمبدئية ؛ فوجدناهم ، حريصين على التواصل مع الاجيال المتعاقبة ؛ من  
خلال الحفاظ على حسن العلاقة مع ( التراث ) . لقد اثبتوا ، انهم لم ولن  
يعيشوا لحاضرهم - فقط - بل وللمستقبل ايضاً ؛ دون ان ينكفئوا على  
ماضيهم او « يتحجروا » عليه ؛ مأخوذون بفكرة العصر الذهبي السابق !

وهذا يعني . انهم ادركوا ، مسألة الالتزام الأخلاقي تجاه الاجيال  
اللاحقة ؛ هذا ؛ بجانب احساسهم الانساني بضرورة الحفاظ على ( حسن  
العلاقة ) مع الامم الأخرى ، التي يتبادلون معها المنفعة . والخير المشترك ؛  
مأخوذون بقانون « الحوار الحضاري » والتفاعل المتبادل ، فأغنوا بذلك تجارب

وفي القرن السادس قبل الميلاد ، وبسبب ضعف الكيانات السياسية .  
واحتدام الساحة الحضارية العربية ، بالصراع الفارسي اليوناني ، فقدت  
مراكزنا العلمية ؛ دورها الحضاري وبخاصة بعد سقوط بابل سنة ( ٥٣٩ ق.م )  
والذي لم يكن في حقيقته سقوط مدينة . بمقدار ما هو سقوط حضارة (١)

حيث انتهى الأمر بالتأمل الفكري والابداع العلمي ؛ بعد قرون ؛ الى سيادة  
الموقف اليوناني ( الفلسفي والعلمي ) بفضل الجهود الفكرية التي بذلها

(١) شمار . د . جورج بويه : المسؤولية الجزائية في الاداب الآشورية والبابلية .  
ترجمة سليم الصويص . بغداد ١٩٨١ ص ٨ و ١٦

استعملنا هذا المصطلح . ونعني به الفكري في وادي الرافدين ؛ وكررنا ذلك في السياق

رجال الفكر والعلم ، ساعد على تعزيز هذه السيادة ، اندفاع الأسكندر باتجاه الشرق ليصبح كل ذلك التراث الثري في حدود امبراطوريتيه ؛ كل تلك الفرس ؛ هيات لبونانيين اسباب النضوج الحضاري ، بعد ان تمتلوا كل ما وافق تفكيرهم وحاجتهم ، من المنجزات العلمية الحضارية التي جاءتهم من الشرق ( العربي ) والتي تجاهلها البعض وهويتحدث عن « المعجزة الاغريقية »<sup>(١)</sup> كما فعل جورج سباين ؛ وغيره ممن انكر السبق الشرقي .

ولسنا هنا في معرض الرد على اصحاب « التاير الاوربي » لتاريخ الفكر الفلسفي ؛ بل للتذكير بما قدمه علم الآثار من حقائق جديدة ؛ جاءت بمثابة القنديل الذي يبر الدرب أمام الباحث المنصف كي يرى الحقيقة الموضوعية ؛ التي تحكي لنا قصة جهاد الانسان الراقدي وهويبدع ويبتكر ويخدم الإنسانية . وهوطموح الباحثين الذين استهوتهم الحقيقة ؛ ولاشيء غيرها ، كيلا يساء فهم تاريخ الفكر البشري ، وهوبعض مما استهدفناه في بحثنا المتواضع هذا ؛ الذي يدور حول « مفهوم الزمان في الفكر الراقدي ؛ بين الفلك والرياضيات » متابعين دلالات الدرب الشائك ! الذي سبقنا فيه العديد من اساتذتنا الأجلاء فسانا نوفق .

## ١- المدخل الى الدراسة ومبرراتها

اختلفت الآراء ، والأفكار ، والمبادئ ، ( النظريات الفلسفية ؛ ) منطقية وعلمية ؛ دينية ( ميتولوجية ) وواقعية ؛ بتعاقب الأجيال ، واتساع مدارك الناس ويتشعب مناهج التفكير ؛ وتتفاوت منطلقاتهم الفكرية ، حتى ( تشكلت ) أمامنا ، لوحة الفكر الأنساني ؛ بألوان تعزز ثقة الأنسان بنفسه ، ومجتمعته ، وبمستقبله بعد ان ركن الى نتائج ( ثمار ) جهوده المتراكمة على مر العصور والازمان ، الى منهجية واعية ، مقترنة بحماسة وجدانية كان من ابرز سماتها ، تراجع احتمالات ( الخطأ ) أمام اتساع دائرة القناعة و ( الوثوق ) والموضوعية ، المنصفة ؛ وبذلك أصبحت ( معارفنا ) سهلة المعيار ، بسيطة الامتحان والاختبار ؛ بفضل تبادل ( المواقع ) بين العلوم ( الإنسانية ) والعلوم ( الصرفة ) حيث أخذت الأولى من الثانية مناهجها واتجاهاتها الرياضية ( الكمية ) والمنطقية ، كما أخذت الثانية من الأولى ، ( النظرية الفلسفية ) و ( مناهج البحث ) و ( الاهداف الإنسانية ) .

ويمكن القول ، بمزيد من التفاؤل ان ابحاثنا العلمية ، انسانية و « تقنية » تنهل من منبع واحد ، هو مجموعة الحقائق التي تخدم الانسان ، بعد ترجمتها الى « منجزات ايجابية » .

وعسانا في دراستنا ( للزمان ) قد حاولنا التوفيق بين الطموحات الآتية ، لما لهذا الموضوع من أهمية في الدائرتين ( الفلسفية ) و ( العلمية ) قديما ، وحديثنا وعلى المستويين المنطقي والطبيعي ( الفيزيقي ) . أما العوامل الكامنة وراء هذا الاختيار ( الصعب ) فيمكن اجمالها بما يلي :-

أ- الحقائق الأثرية التي أحدثت ( ثورة ) في سياق الوعي الحضاري الذي استلهمته احيانا السالفة . التي قلبت الكثير من وجهات النظر الخاطئة ، ازاء مسيرة الفكر الفلسفي والعلمي الأنساني ، الذي كان لوطننا العربي فيه دوراً متميزاً .

ب- دعوة السيد الرئيس صدام حسين الى اعادة كتابة التاريخ الحضاري للوطن العربي عموماً ، وللعراق على وجه الخصوص .

ج- الوعي الحضاري الجديد ، الذي تجاوز التفسير العنصري للتاريخ الفلسفي والعلمي ؛ الى حالة من الحوار الحضاري الذي ينظر الى اسهامات الامم في عملية البناء الحضاري بمقدار الجهد الذي بذلته احيائها في تحقيق الاضافة .

د- النزوع القومي المشروع الذي استهدفت الأمة العربية من ورائه الكشف عن المنجزات العلمية والفلسفية ( التراث الحضاري ) في مراحل نضوجها الحضاري السابقة ؛ من تاريخنا ، وربطها بسلسلة التطورات الحضارية اللاحقة وصولاً الى المواثمة بين « الأصالة والمعاصرة » لكي تحافظ الأمة على توازنها التاريخي والانساني ، وبمعنى آخر لتحقيق جدلية ( التراث والمعاصرة ) مقترنة ( بالحوار الحضاري ) والتفاعل مع منجزات الأمم الأخرى .

هـ- الدراسات الجادة - على قلتها- والتي شقت طريقها بين سبيل من الدراسات غير الدقيقة ، وغير المنصفة ) التي كانت تنظر الى التراث « مجزوء » فاقد الحيوية ، لأنه يفتقر الى النظرة المتكاملة الشاملة بسبب داء التجزئة الناقصة التي كانت سبباً في الخروج بنتائج لا تستقيم وحقيقة ذلك التراث . مما يوجب - على الجيل المعاصر ان يضطلع بمسؤولية القيام بدراسات موضوعية تراثية تتناول اوجه الحضارة العربية العريقة كافة ؛ وهو ما تأمله من مراكز البحوث التراثية ؛ والمجامع العلمية ، والاقسام الفلسفية وغيرها من مؤسسات اخذت على عاتقها مهمة اعادة كتابة التاريخ الحضاري بمنهج علمي جدلي تاريخي مقارن ، ومنصف وهو ما حاولنا توظيفه في هذه الدراسة المتواضعة ، لنفحص في ضوئه الاتجاهات العلمية والفلسفية التي نبتت في هذه الربوع منذ سالف الازمان ، مستعينين بتجارب الرواد من الباحثين .

## ٢- الزمان بين المعنى اللغوي والمفهوم الاصطلاحي

الباحث وهو يتتبع مفردات هذا الموضوع ؛ مدين الى المحاولات التي سبق وطرحها تساؤلات العديد من الباحثين الذين درسوا جوانب الحياة الفكرية والعقيدية لسكان وادي الرافدين في مقدمتهم من الأجانب « ه فرانكفورت وجاكوبسن في كتاب « ما قبل الفلسفة » وسارتون في تاريخ العلم ؛ وديورانت في قصة الحضارة ؛ واوينهايم في بلاد ما بين النهرين ؛ وكريمر في اساطير سومرية ومن العراقيين الدكتور الألوسي في كتابه « الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم »<sup>(٣)</sup> الذي كان من أكثر المصادر التي تناولت هذا الموضوع عمقا واتساعا بجانب بحث مدام كاسان عن مفهوم الزمان في

(٣) الألوسي ، د . حسام . الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم ؛ مجلة عالم الفكر الكويتية المجلد الثامن العدد الثاني ١٩٧٧ ص ٤١٣ وهو جزء من كتاب طبعه تحت عنوان « الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم » بيروت ١٩٨٠ ص ٣٩-٤٨

(٢) الطعان ؛ د : عبد الرضا ؛ الفكر السياسي في العراق القديم . بغداد ١٩٨٠ ص ٣٤ نقلاً عن :

George, Sabine, A History of politica, Theory of the Fourth edition, Dryden, Press. Hinsdale illinois U.S.A. 1973 p. 7.

الشيء الذي لا نهاية له . أما القدم الزماني فهو « كون الشيء غير مسبوق بالعدم » وهو غير الماضي : لأن الماضي « هو الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك » . وبذلك يوزع الجرجاني « الأزل » « والأبد » بين طرفي الماضي البعيد غير المنتهي في قدمه والمستقبل البعيد اللامتناهي . وهو غير الماضي : وغير المستقبل : لذلك قيل عن الأزلي « هو ما لا يكون مسبوقاً بالعدم » ثم وزع مناطق نفوذ هذه المفاهيم على الموجودات بقوله « الأزلي والأبدي » وهو الله سبحانه والأزلي والأبدي وهو الدنيا (عالم الكون والفساد) وأبدي وغير أزلي هو الآخرة « ثم قرب لنا مفهوم الأزلي بقوله « الذي لم يكن ليس . والذي لم يكن ليس لعله له في الوجود » أما أقرب جزء من الزمان لنا فهو « الآن » الذي هو : اسم للوقت الذي أنت فيه : وهو ظرف غير متمكن (١) . وبذلك أوجز لنا صاحب التعريفات خلاصة الفهم العربي لعاني هذه المصطلحات .

ووجدنا في معجم « رينهارت » إضافة في المصطلح المتصل بالدهر وهو « الدهر » ودهر الدهور « الذي قال عنه انه « الى الأبد » (٢) أي ابد الأبدن ولو استعرونا تفسير الجرجاني حول هذا المصطلح وجدناه يقع في دائرة « مستقبل المستقبل » وهو الطرف الآتي الذي يحمل ملامح التفاؤل الانساني .

مع ذلك يمكن ان نقول ان « الدهر » في مجمل التفسيرات هو الزمن الممدود المعلوم الاول ، والآخر ، عليه يمكن وضعه في سياق العود الأبدي . « الدور » وهو ما سوف نجده في ثنايا الفهم الفلسفي للزمان في وادي الرافدين ، مقدراً بعدد من السنين تختلف باختلاف محيطها الفلكي .

فاذا كانت ( المدة ) هي « حركة الفلك من البداية الى النهاية » ووجدنا ( الزمان ) « بعضاً من هذه المدة » كما وجدنا ( الوقت ) جزءاً من الزمان محسوباً بالمقاييس المعروفة . التي يمثلها الجانب العملي والتي تسجل حركة الزمن .

وخشية الاسترسال مع الفيض المتوافر من الأراء التي زحرت بها المصادر العربية ، نكتفي بما سجله لنا الدكتور الالوسي عن الازرقعي الذي قال « الزمان ظرف الأفعال . وانما قيل ذلك لأن شيئاً من افعالنا لا يقع الا في مكان . والأفي زمان . وهما الميقات » ذلك هو المعنى الحيوي المتصل بالفعل الانساني الذي أشار اليه الطبري بوضوح في قوله « الزمان . هو ساعات الليل والنهار » (٣) .

نكتفي بهذا القدر من « الفحص » عن معنى « الزمان » بضريه ( الفلسفي ) و ( العلمي - العملي ) دون ان تقطع صلة هذه المفاهيم

العراق القديم . كما وجدنا بين ايدينا غير ماجاء في المصادر الآتفة - الكثير من المكتشفات الأثرية الجديدة التي اعانتنا على توسيع دائرة البحث فيما يتصل بالمرحلة القديمة من تاريخ وادي الرافدين دون ان ننظر اليها الا في سياق مراحل الحضارة العربية القديمة ؟ نقول ذلك : وبين ايدينا الجهد المكتشف الذي بذله الدكتور الالوسي . وهو يتبع المعنى « اللغوي » للزمان في المصادر العربية والأجنبية . وان كانت دائرة المعنى اللغوي بالعربية هي الغالبة . فتناول كلمات معروفة لدينا جيداً بالبحث والدراسة لانها تشكل اجزاء هذا المبحث مثل وقت . وقديم وحدث ودهر وازل . وزمان وحين وبرهة وساعة ويوم وسنة . وغيرها من الكلمات التي كانت معروفة ومتداولة بين الناس . قيل تدوينها في « قواميس اللغة » او « معاجمها » .

ومهما كانت موارد هذه الكلمات فهي لم تخل من دلالة فلسفية غير بعيدة عن مدارك القدماء . لكن الصعوبة تكمن في تحديد بداياتها : او اشخاصها . الأماندر . لكنها عرفت في وادي الرافدين . وما زالت متداولة . وهي في مجملها في المراجع اللغوية العربية : لن تخرج عن المعنى الفلسفي المعروف منذ بواكيره الاولى : وان اتجه الى النضوج بفضل تعمق النظرة الفلسفية التحليلية للمفكر الرافيدي في الميدانين ( الفيزيقي والميتافيزيقي ) التي تطورت فيما بعد على يد الاغريق وفي الدراسات العربية الاسلامية المتكاملة . والاوربية الحديثة والمعاصرة .

ويمكن اجمال المفاهيم المتعلقة بالزمان ( في العربية ) بمصطلحات مثل « الوقت » و« الدهر » . والمدة ، والآز ، والأبد والأزل » التي ربطها بحركة الفلك من البداية الى النهاية (٤) : ولكل واحدة من هذه الكلمات موطن قديم في السياق ( العام ) للزمان ( المطلق ) ونضيف عليها تعريفات المفاهيم التي تشكل اجزاء هذا ( الزمان ) فيقول الرازي في مختار الصحاح « البرهة : تأتي بمعنى مدة طويلة من الزمان » الذي جمعه على « ازمان وازمنة وازمن » ووزعه بين « حين واذ وساعة ويوم وسنة » اما « الوقت » فهو تحديد الاوقات المنضوية ( المنسدة ) للفعل (٥) اما الجرجاني فيذكر في ( التعريفات ) « الزمان : هو مقدار حركة الفلك الأطلس عند الحكماء : وعند المتكلمين هو عبارة عن متجدد معلوم يقدر به متجدد آخر موهوم ، كما يقال : أتيتك عند طلوع الشمس : فان طلوع الشمس معلوم : ومجيئه موهوم فاذا اقرن ذلك الموهوم ( المجهول ) بذلك ( المعلوم ) زال الابهام اما الدهر « فهو الآن الدائم : الذي هو امتداد الحضرة الالهية : وهو باطن الزمان : وبه يتحد الأزل والأبد » ثم يتناول هذه المصطلحات بالتفسير فيقول « الأبد : هو استمرار الوجود في ازمئة مقدرة غير متناهية في جانب المستقبل كما ان الأزل : استمرار الوجود في ازمئة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي » وقال عن الأبد أيضاً « مدة لا يتوهم انتهاؤها بالفكر والتأمل البتة : أو هو

ص ٣٢١ و٣١٢ و٣١٣ و٣١٤ و٣١٥ و٣١٦ و٣١٧ و٣١٨ و٣١٩ .

(٧) رينهارت : دوزي : تكملة المعجم العربية - نقله الى العربية وعلق عليه . د .

محمد سليم النعيمي - بغداد ١٩٨١ الجزء الرابع ص ٤١٨ .

(٨) الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم ص ٤١٥ - ٤١٧ . المعتمد على

الازرقعي : الامكنة والازمنة : طبع - حيدرآباد . ١٣٣٢ هـ ص ١٣٩ والطبري :

التأريخ : تحقيق ابو الفضل القاهرة ١٩٦٠ . ٩/١

كاسان . مدام ابينا - مفهوم الزمان في وادي الرافدين ت د . وليد الجادر -

مجلة سومر المجلد ٣١ لسنة ١٩٧٥ ص ٣٢٧

(٤) الالوسي المصدر السابق ص ٤١٥ - ٤١٧ راجعها في كتابه ص ١٢ - ١٨

(٥) الرازي : محمد بن ابي بكر : مختار الصحاح . نشر دار العلم بيروت - ت .

ص ٣١ و ٥٠ و ١٦٦ و ٣١٧ و ٣٢١ و ٥٢٥ و ٧٣١ و ٧٤٥

(٦) الجرجاني : الشريف علي بن محمد التعريفات : القاهرة ١٩٣٨ ( البابي الحلبي )

بالعربية عن اصولها ومدلولاتها في اللغات السامية ( العربية القديمة ) وهو ما سبقنا في تأشيرته الدكتور الالوسي .

والآن ، ماذا نخبرنا الوثائق الاثرية عن حقيقة الفهم الرافدي للزمن ؟

### ٣- كيف نظر الإنسان الرافدي الى الزمن ؟

وجدنا في المجامع الأثرية والوثائق التي وصلتنا من الفترة السومرية ، وما لحقها ، منابع الرئيسة التي اعتمدها في دراستنا هذه « نقول » ونحن نتخصص وجهة نظر الإنسان الرافدي عن « الزمان » ، والتي ظن البعض فيها ظناً آمناً حينما اهتمل قيمتها في البحث العلمي ، بحجة « الاسطورة » . صحيح ، ان البدايات البعيدة للأفكار اللاحقة قد تبدو للوهلة الأولى ، مشوشة ، غير واضحة المعالم ، بسبب افتقارها الى السعة والتعليل ، لكنها - على اية حال - بداية لا بد منها ، لكي تتبع التطور المتصاعد للفكر الأنساني في هذه المواقن الحضارية .

ولانكم القارئ لفاضل سراً اذا ما قلنا ، ان هذا الغموض في اوليات الدراسة بجانب صعوبة موضوعها ، هي نقاط الاغراء التي تحثنا دوماً على المطاولة ، للوصول الى حقيقة النظرة العراقية القديمة الى ( الزمان ) .

ان ما يلفت نظر الباحث ، في الفكر الرافدي ، هو ان ( السومريين ) - مثلاً - وهم اقدم المجاميع البشرية التي عاشت هنا بعد آخر عصر جليدي - لم يكونوا شعباً بدنياً ، حيث اكدت وثائقهم انهم « ورثة ماضي مجد سعيد » لانخلو مواصفاته من صورة « الزمن السعيد والعصر الذهبي للمجتمع الأنساني حيث السلام والوثام يسودان العالم ، وكان الجميع بلسان واحد يتكلمون<sup>(٩)</sup> وعليه لم نعجب حينما يوظف السومري خبراته الحضارية في بيئة صالحة للتطور كهيئة وادي الرافدين ، حيث الشروط النفسية المساعدة على الاجتهاد والابداع ، والعوامل الجغرافية المواتية ، اذ تنبه الإنسان الرافدي - كما يقول سارتون - الى ادراك سير الزمن من دوام تكرار النهار والليل ، وتغير اوجه القمر والمواسم والسنين . فوضع تقاويم تتباً فيها ، بتلك الظواهر ، في ضوء التجربة السابقة . وهي تقاويم . اساسها الظواهر الجوية ( الجوفيزيائية ) في الدائرة القمرية ، او الدائرة الشمسية ..... ثم أدخل التحسين على هذه التقاويم تدريجياً من جراء تكرار المشاهدات<sup>(١٠)</sup>

اضافة الى محاولاتهم لضبط مواسم البذار وحساب الفصول<sup>(١١)</sup> ولما كان للكاهن في تلك المحاولات دور يذكر ، اكتسبت دوافع البحث والمتابعة وحس الاستطلاع ، طابعاً دينياً طقسياً ، لم يخرج

عن ( الحاجة ) في الوصول الى الأفضل من المعارف ، حتى اعتبر - ويلز - الكاهن الأول « رجل علم طبيعي » وان علمه علم تجريبي ،

ووظيفته ، المعرفة<sup>(١٢)</sup> . وليس في ذلك غرابة اذ لفت نظر الإنسان الرافدي ، منذ القدم ، شكل ( الكون الدائري ) وظاهرة ( الليل والنهار ) وتعاقب « الايام والسنين » بجانب ظاهرة تبدل المناخ ، وتتابع الفصول ، ومسألة « الولادة والفاء » حيث سجل مآثراته التسملية وتصوراته الذهبية ، عنها ، بعد ان تداولها مشاهفة جيلاً بعد آخر ، اشارات وتلميحات ، حيث اجتهد كل جيل لاحق ان يطور مبادئه السابق ويضيف اليه خبراته المستجدة المتراكمة لذلك كان دائم التفتيش عن « اسباب » هذه التغيرات ، في ظروفه المحيطة ، باحثاً عن عوامل ذلك الاختلاف وتأثيراتها على حياتهم ، . وكان المعني في كل ذلك ، ليس الإنسان البسيط فقط بل وكذلك الإنسان « الحكيم » المفكر ، راجح العقل ، الذي أستهدف ( تعليل ) ومتابعة هذه الظواهر ، وغيرها . بحسب قدراته وامكانياته العقلية والتي كان ( لرجل الدين ) حظاً وافراً بحكم موقعه ، ومسؤولياته في المجتمع . حتى أثمرت هذه التراكمات ( التعليلية ) ( والتجريبية ) عقائداً وفلسفات وعلمواً ، وبخاصة بعد ان تحررت تعليلاته لها عن اطارتها ( اللاهوتية ) ، وفي ميدان العلوم ، نما بجانب الطقوس الديني ، علم مستقل . يتبادل معه المواقف ، مارسه رجل الدين بالذات ، ونعني به « علم الفلك »<sup>(١٣)</sup> الذي اجتمعت لانفصاحه « حاجة » الانسان المتجددة ، مع

مما يجري حوله ، و« رغبته » في اكتشاف المجهول و« خبرته » المتراكمة على مر العصور ، كل ذلك من اجل ان يكشف موقعه في هذا الوجود . ولينصرف فيما بعد على ضوء تلك المعرفة ، وهو ما كان سبباً في ظهور « التنجيم » .

اذ اقترنت التصورات ، في وادي الرافدين ، عن « الزمان »

بالتأملات الاولى التي راقت الأنسان ، منذ وعى وجوده ، وادرك ان ما يجري حوله ، مترابط ، ومنظم ، انه كل متكامل ، ومتلازم ، متلازماً حيويًا وعضويًا وسببياً .

لن يفلت حتى ( الإنسان ) من سياق ذلك النظام . الذي توصل الى فهمه من خلال سلسلة من الاجابات التي جاءت رداً على اسئلته : كيف ومتى ولماذا واين ؟ عليه اكتسبت تلك الاجابات شتاً ام ايناً - مسحة ( فلسفية ) تفد عبر الغلاف الميثولوجي الذي بدا قريباً منا ، ونحن نتمعن بتلك التأملات التي لانخلو من النضوج ، الذي وسم تفكير الانسان الرافدي مع تلاحق الايام . فلم نعجب حينما نجد تأملاته تلك وقد تجاوزت « الزمان » - القدر المطلق ) الى ادراكه في سياق المقولات الفلسفية والمنطقية . حينما دخل دخولاً مباشراً في مجموعة العلل التي تشكل اركان « وجود » الاشياء . ثم

(١١) ويلز : ه . جموجز تاريخ العالم . ترجمة عبد العزيز جاويد القاهرة ١٩٦٧ ص ٥١

(١٢) ايضاً ص ٥٦

(١٣) تاريخ العلم ٢٥١/١

(٩) باقر : الاستاذ طه : ملحة كل كاشم ٤ بغداد ١٩٨٠ ص ١٣ . راجع كذلك : عبد الواحد : د . فاضل : الطوفان بغداد ١٩٧٥ ص ١٨-١٩ .

(١٠) سارتون : تاريخ العلم : ترجمة مجموعة من الاساتذة ط ٣ القاهرة ١٩٧٦ ص ٦١/٦١

٦١ - ٦٢ و ٦٦ - ٦٧ . كذلك ، ول ، ديورانت : قصة الحضارة ٢٥١/١

الانتباه الى الجانب العملي (التطبيقي) الذي يتصل بتحديد اجزاء الزمان العلمية الدقيقة . ومع الايام - دخل بحث الزمان في الميكانيكا دخولاً مباشراً ، بفضل ابحاث الفيزياء والحركة والمكان . كما دخلت هذه الابحاث في القرون اللاحقة ؛ زوايا محددة ، فدار الحديث عن الزمن النفسي ، والزمان العقلي ، والرياضي والوجودي والنسي « متجاوزا الاطار العام الذي كان معروفاً في « الحقب » الماضية .

يرافق الطبيعة والحياة ، والمتحقق بتأثير التجديد الحاصل في ( العناصر الأساسية ) لهذه الكائنات ، بسبب تنالي الأجيال وتعاقبها ، « وكما تعاقب - الدهور - اي ( الاحقب ) الطويلة ، ومن ثم ( الازمان ) - المراحل الطويلة - لتفرز الى الوجود مجموعة ( الهة ) جدد يميلون الى الحركة والعمل ، مما يضع ايدينا على فكرة التطور الخلاق ( المتدفق دوماً ) لان تعاقب الاجيال والدهور والازمان : لم ينفصل عن الحركة ، وغير منقطع عن حركة الكواكب في السماء ؛ وتلك افكار تمتد الى الألف الثالث قبل الميلاد<sup>(١٩)</sup> .

لقد نجح الأناسن : في منح الزمان بمفهوميته ( الفلسفي ) و ( العلمي ) كل ما يستطيع من جهد ؛ حتى استأثر الأخير باهتمامه ، لانه قريب من حياة الأناسن وحاجته الدائمة وهو ما يمثل لنا ، الجانب المحسوس من الزمن . ففطن الأناسن . وقسمها اجزاء . ليتذكر ويخطط ويتحرك وينتج ، ان ذلك المنجز مرتبط بميل الأناسن الى ( تنظيم ) حياته وحرصه على ان لا يتخلف عن حركة الاشياء المنظورة . وهو ما ترجمه لنا الأناسن العربي بحكمته الشهيرة « الزمن كالسيف اذا لم تقطعه يقطعك » وهو ما نسميه بالتعامل الحضاري مع الزمن الذي وسم المجتمعات المتقدمة في كل العصور . فماذا قال لنا العراقي القديم عن هذا الامر ؟ واين نجد وجهة نظره عن الزمان ؟

لقد وظف الأناسن الرافيدي ؛ مفاهيمه الفلسفية عن الزمان في الجانبين ( الفني - الشعري ) و ( العملي الفلسفي ) فجاء في مآثوراته على لسان مردوك حينما خاطب آرا - آشوم مانصه « افصح المرفسوف آخذ الطريق ؛ فقد جاء ( اليوم ) ومرت ( الساعة ) سأقول ؛ وتسقط الشمس اشعتها ؛ وسأعطي ( بالظلام ) وجه ( النهار ) ... والذي ( ولد ) في يوم ( مطير ) يدفن في يوم ( عطش )<sup>(٢٠)</sup> كما توصل اناسنا السالف الى ( حساب الزمن ) بواسطة ( تعاقب الليل والنهار ) حتى استعمل الساعة الشمسية ( المزولة ) والساعة المائية ( المحصلة ) حيث ورد ذكر الأخيرة في قصة الطوفان « اتراحاسس - واسع الفهم - باسم ( ملتككو ( Mal-Tak-Tu ) التي تحدد بواسطتها بدء الطوفان<sup>(٢١)</sup> .

## أ - الزمن في المآثورات العراقية القديمة .

( ملحة جلعامش ) من بين المصادر الأساسية التراثية ؛ التي تضمنت اشارات صريحة وواضحة عن « الزمان » في ذات السياق الذي اشيرنا اليه في حديثنا عن المعنى اللغوي ، والمفهوم الاصطلاحي ( الفلسفي ) ، فتحدثت عن « اليوم الاول » umu « اومو<sup>(٢٢)</sup> بمعنى . اليوم الذي بدأت فيه عملية الخلق ؛ كما تضمنت اشارات لكلمات مثل الآن ؛ والدهور والسرمد والأزل<sup>(٢٣)</sup> فورد على لسان صاحب الملحة الحكيم قوله : « وجاء بأبناء ازمان ما قبل الطوفان<sup>(٢٤)</sup> . كما ورد فيها اشارات عن حسابات المسافة بالزمن ؛ اي اقتران ( الزمان بالمكان ) فغابة الارز ؛ كما جزيرة خلودا وتونا بشتم تبعد عن بلاد اوروك ؛ مسافة حسب عدد الساعات الزمنية<sup>(٢٥)</sup> .

ويقدر معلوماتنا المتواضعة عن الوثائق الأثرية القديمة التي جاءتنا عن حضارة وادي الرافدين ؛ لم نجد وثيقة أثرية او نصا ادبيا ، او قصيدة ؛ الا وتضمنت اشارة ( تلميحاً او تصريحاً ) للزمن ، ( الفلسفي ) او ( العملي ) او بعض تفصيلاته واجزائه كالساعة والساعة المضاعفة ، الى اليوم فالاسبوع حتى السنة<sup>(٢٦)</sup> ومضاعفاتها ؛ فيتحدث الشاعر النيفوري « ناي - أتول - انليل » في قصيدة له عن « النهار » و « الليل » ، واللحظة والبرهة ؛ وطرفة العين ؛ وعن الامس واليوم ؛ وعن الشهر والعام<sup>(٢٧)</sup> مما يعكس لنا صورة من صور الفهم النفسي للزمان والاحساس المباشر به .

## ب - الزمان وعلم الفلك

تفق مع صاحب « تاريخ العلم »<sup>(٢٨)</sup> فيما استنتجه عن بداية اكتشاف الأناسن الرافيدي للقيمة الحيوية للزمن ؛ وقال عنها ، انها « كانت بداية تجريبية استقرائية غير منفصلة عن تصوراته العقيدية والفلسفية ؛ التي كونها بمرور الايام ؛ من ملاحظته ؛ لتعاقب الليل والنهار ، وبفضل حسابه للايام والسنين وادراكه لمراحل نمو الأناسن ( طفولة ، شباب ، شيخوخة ) . هذه وغيرها ، اوصلت طرفي معادلة ( الحياة والموت ) مع بعضهما اي

و ( قصة الخليفة ) - اينوما ايليش - تضمنت ذكر للزمن ( المطلق ) - غير المحدد - ( الازل ) سبق الخليفة « ففي البدء الاول ( حين ) لم تكن السماوات قد سميت بعد في الاعالي ؛ لم تكن سوى ( المحيطات الأزلية ) - تيامات وآبسو - ثم ولدت في بعض ازمان غير محدودة ؛ بضعة اجيال من الالهة ( العناصر ) وكان احكمها - آيا ، - ( ان + كي ) « كما جرى الحديث عن الزمان باعتباره « سر » التغيير والتجديد ؛ الذي

ترجمة : احمد عبد الحميد يوسف ، القاهرة ١٩٧٤ ص ٩٨-٩٩ . راجع ايضاً : ماقبل الفلسفة - ١٠٩ و ٢٠٠ - ٢١٣ و ص ٢١٧

(١٤) الاسعد : د . سامي سعيد : تعريب ملحة جلعامش - مجلة التراث الشعبي ٨ لسنة ١٩٧٧ ص ١٠٩-١٣٣

(١٩) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ٥٤/١

(١٥) قصة الحضارة ٢٢١/٢

(٢٠) اساطير سومر وأكد ص ١٠٧  
(٢١) الطوفان ٨١-٨٣ و ١٥١ ؛ ومدام كاسان . المصدر السابق ص ٣٣٠-٣٣٣

(١٦) ملحة جلعامش ص ٧٣ . راجع ايضاً : جاكوبيسن : ماقبل الفلسفة ص ٢٤٦ ٢٤٩

مجلة سومر م ٣١  
(٢٢) تاريخ العلم ١/١٧٥ و ١٧٧ و ٢١٤ وقصة الحضارة ٢٥١/٢ .

(١٧) ملحة جلعامش ص ٩٩ راجع ايضاً دراسة مدام كاسان عن مفهوم الزمان والمكان سومر ٣١٣ ص ٣٣٦

(٢٣) قصة الحضارة ٢/٢٥٦-٢٦٠

(١٨) كريمر : صموئيل نوح ؛ اساطير سومر وأكد [ من كتاب اساطير العالم القديم ]

توجت بقيام علم الفلك الرياضي الذي لم يتحقق لولا دخول حساب المتنازات و ( الجبر ) فيه دخولا مباشرا مما ابعده عن التأمل وقربه من اليقين عليه يمكن القول . ان المجري العام ( لتيار ) الزمن كان يعتمد على الدراسات الفلكية . والارصاد العلمية التي تمخضت عنها « الجداول الفلكية » المسجلة على اساس ( الملاحظة المتراكمة + التوظيف الرياضي المتطور ) والتي نهت الانسان ( الفلكي ) الى اكتشاف الظواهر المتكررة في الطبيعة . مما اوصله الى اكتشاف ( القانون ) الذي يصدق على كل الظواهر المتكررة . لتكرار شروطها .

وكان من ثمار هذا الكشف الهام ان دونوا لنا حادثة لكسوف الشمس يوم ( ١٥ حزيران عام ٧٦١ ق.م ) مما اكد صحة الاستنتاج العلمي . المستند الى المعلومات الفلكية الواردة عن العراق القديم . والتي استند اليها دارسو الفلك في تسجيلاتهم اللاحقة لحوادث فلكية مهمة . كما فعل طالبس بكسوف يوم ( ٢٨ ايار سنة ٥٨٥ ق.م ) فدخل لذلك قائمة الحكماء<sup>(٣٠)</sup> مع انه كان واحدا ممن درسوا في بابل . وحمل معه الجداول الفلكية البابلية التي سبقت الارصاد الفلكية الهندية والصينية . واصبحت اساسا لعلم الفلك اليوناني<sup>(٣١)</sup> والعربي الاسلامي اللاحق .

ومع ان الاثار لم تكشف كل اسماء الفلاسفة والعلماء العراقيين القدماء . لكن تبقى اسماء مثل « هرمس البابلي »<sup>(٣٢)</sup> و « احقار الاشوري »<sup>(٣٣)</sup> و « نيو ريان » و « كيدنيو وجارو » من العلماء الكلدانيين ( والذين نظرو سارتون الى دورهم العلمي آنذ . موازيا الى ادوار كبلر وغاليليو وكوبرنيكس . في عصر النهضة الاوربية .

نقول : مهما كانت الاسماء ( المنسية ) وراء المنجزات الفلكية الممتازة . مجهولة . لا يعني ذلك ان الانسان الراقدي لم يدرك الزمن بصورته الفلسفية بل نقول ان ذلك الادراك لم يتفصل عن الموقف العقيدى . ولا عن التصورات الفلسفية المطروحة . التي وجدناها اقرب الى العلوم الطبيعية . منها الى ( الميتا فيزيقا ) فتأثير تقدسهم للشمس اعتبروها علة تغير ظروف حياة الانسان والحيوان والنبات . وتلك حصيلة الخبرة المتراكمة . كما اهتموا بدراسة ( القمر ) ومراقبته . فأروا فيه . اكثر اثرا على مجريات الامور على هذه الارض . كتقلبات المناخ والمد والجزر<sup>(٣٤)</sup> ويظهر عمق الاعتقاد بهذا التأثير في وضعهم « التقويم القمري » لقربه من حركة الطبيعة : ولعله اصل

( البداية والنهاية ) بعد ان أخذت الكثير من وقت وتفكير الانسان . الذي نظر الى دائرة الكون موزعة بين ( نصف كرة السماء ) يقابلها ( نصف كرة الارض ) الاولى اساس الثانية . وكل ما يجري على هذه الارض غير منفصلا عن اسبابها الفلكية في المدارات السماوية . فتصور على هذا الاساس الدرجات والبروج والمواقع والمدارات الفلكية للكواكب . فمردوك هو المشتري : ونابو هو عطارد . ونرجال هو المريخ وشمش هي الشمس وسين هو القمر ونيب هو زحل وعشتار هي الزهرة<sup>(٣٥)</sup> عائلة آلهة كونية ( فلكية ) تحكم هذا العالم ؟ انها علل كل ما يجري في دائرة الكون من احداث وتغيرات غير منفصلة عن اسبابها ( البعيدة .

و لما كانت حدود دائرة الكون ؟ موزعة بين ( السماء ) والارض . نظروا الى الاخيرة وكأنها قفة مقلوبة<sup>(٣٦)</sup> في الماء . بما يوحي بتجاوزهم لخطأ الحواس القائل بان الارض ( مستوية مسطحة ) اذا لم نتطرق ونعتبر ذلك بداية احساس الانسان . بكروية الارض . لكنها - على اية حال - جزء من الكون المنظم . الذي يقترن كل ما يجري فيه . باسبابه . ولا يفتل عن قوانينها ( الميات ) موجود . في ضوء ذلك فسر التاريخ . واستخدم لذلك - حادثة - الطوفان : اساسا لتأشير . تاريخ مرحلة سابقة عليها . ومرحلة لاحقة لها . ومثل ذلك عامل انسانا العربي ميلاد السيد المسيح . والهجرة النبوية الشريفة .<sup>(٣٧)</sup>

ازداد احساسه بالتاريخ<sup>(٣٧)</sup> بعد اختراعه الكتابة . حيث قام بتدوين ملاحظاته واستقرأ آتة . ومنذ وقت مبكر . يرتقي في تفصيلاته الى العهد الاكدي ( في الالف الثالث قبل الميلاد ) . لكننا وجدناه في العهد البابلي القديم [ من القرن ١٨-١٥ ق.م ] ينتقل في ابحائه . من طور المعرفة العلمية . الى طور علم الفلك الحقيقي : « باعتباره مجموعة منظمة من التفسيرات العقلية لحركات الاجرام السماوية »<sup>(٣٨)</sup> بمنهجية وقوانينه . والزمان بعضاً منه . ولم يتحقق له ذلك لولا شعوره بالحاجة . الى تنظيم الحياة ( طريقة العيش )<sup>(٣٩)</sup> فجرى الحديث عن الزمان التاريخي بمعنى اخر : ان ( علم الفلك ) هو القاسم المشترك الذي يربط المفهوم الفلسفي عن الزمان لدى الانسان الراقدي . مع « التقويم » العملي . لذلك الزمان وهو ما كشفه الازدهار العلمي الذي تحقق خلال خمسة قرون استقرت بعدها اصول علم الفلك . والمفاهيم المترتبة بالزمان حيث وضع الانسان خبرته المتراكمة وتجربته العلمية . المستندة الى الملاحظة والاستقراء . التي

م . حين سقطت بابل . ومثل ذلك وجدناه لدى الاشوريين . راجع الطوفان ١٨-١٩ ومقدمة ٣٢٠/١ .

(٢٩) مقدمة في تاريخ الحضارات ١ / ٣٥٦

(٣٠) كرم . يوسف تاريخ الفلسفة اليونانية ط ٤ القاهرة ١٩٥٨ ص ١٢

(٣١) ابن خلدون . عبد الرحمن . المقدمة . دار القلم بيروت ١٩٧٨ ص ٤٧٩ و ٤٩٧ و ٤٩٨

(٣٢) الشهرستاني . الملل والنحل . تحقيق ونشر الوكيل طبع القاهرة ١٩٦٨ - ١٠٣/٢

(٣٣) الحكيم . احقار . الحكيم الاشوري . نشر وتحقيق المطران غريغوريوس بهنام بولس بغداد ١٩٧٦

(٣٤) الكاتب . د . محمد طارق . البصرة وشط العرب والتاريخ البصرة ١٩٧٢ ص ١٠ و ٩

(٢٤) سارتون : تاريخ العلم ١/٦٦-٦٧ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٧٨ و ١٨٥ و ١٨٩ و ٢١٤ و ٢٥٦

راجع ايضا : ديورانت قصة الحضارة ٢/٣٨ و ٢٢١ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٦-

٢٦٠ والاحمد : د . سامي سعيد : السومريون وتراثهم الحضاري ص ١٨٨

والنشار د علي سامي : وجماعة هيراقليطس فيلسوف التغير : الاسكندرية ص

٦٦-٦٧ . وراجح : افلاطون : الجمهورية ص ٤١١ و ص ٤٥٤-٤٥٥ و ٤٧٩ و ٥٧٦-٥٨٧ .

(٢٥) تاريخ العلم ١/١٨٥

(٢٦) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ١/٣٢١

(٢٧) تاريخ العلم ١/٣٢١

(٢٨) حيث جاء ذكر الفترة من بدء الخليقة حتى عصر حمورابي . والحديث عن

العصر الذهبي الذي تفصله عن اول سلالة في كيش (٢٤١٠٠٠) سنة كسا

سجل الزمن وحدوده . بحسب سني حكم الملوك . واستمر حتى سنة ٥٣٨ ق.

(١٢ قسماً) شأنه شأن أقسام القبة الفلكية . ودائرة السماء التي تضمنت البروج الاثني عشر .

وسموا هذه الأقسام بالساعات . كما قسموا الساعة الى (٣٠ أوش)

بمعنى ان اليوم البابلي يساوي (٣٦٠ أوشاً) كأيام السنة ٣٦٠ . او كدرجات الدائرة الفلكية الكونية المؤلفة من ٣٦٠ درجة . والأوش في حساباتنا المعاصرة يعادل (٤ دقائق) بمعنى انهم ادركوا (نظرياً) ما عرفناه نحن فيما بعد . بخطوط الطول - التي تحتاج الارض في حركتها حول نفسها ان تقطع المسافة بين خط واخر بـ ٤ دقائق حيث تقطع في اليوم والليلة (٣٦٠) خطأ<sup>(٣٧)</sup> .

ان الملاحظ في الارقام المذكورة اعلاه انها تمثل اجزاء « الرقم الستيني او مضاعفاته » الذي اعتمدته الرياضيات البابلية في حساباتها . وهو ما سوف نفضل القول فيه في السطور اللاحقة .

اما العلاقة السببية - ذات الأصل الرياضي - بين (عالم السماء) ببروج الاثني عشر . وعالم الارض بناسة الموزعين بحسب هذه البروج فهم يواجهون في اليوم (١٢ ساعة) وفي السنة (١٢) شهراً . لن تخرج حدود السعد والنحس في حياتهم عن منطويات هذه البروج<sup>(٣٨)</sup> (وهذه الاعداد)

## د - الادوار الزمنية والأصل الرياضي والفلكي .

وجدنا في السطور الفائتة كيف ان مفهوم الزمان اقترن بعلم الفلك . كما اقترن - عملياً - بالرياضيات . والتنجيم<sup>(٣٩)</sup> وكان الأخير - حسب رأي سارتون - بمثابة « الديانة العلمية التي اجتذبت المتقنين بعد طرحهم الاساطير القديمة »<sup>(٤٠)</sup> واقترابهم من (الرياضيات) وبذلك رسخوا دعائم علم الفلك الذي وصل الى بطليموس وبرخس<sup>(٤١)</sup> ، وعليه يمكننا القول مع سارتون . ان الفلك والتنجيم ، بتوسط الرياضيات . هما ضروب المعرفة النظرية . والمعرفة العملية . التي استهدفت التوفيق بين الديانة الشعبية ومذهب التوحيد الطبيعي ، او قل = ضرباً من وحدة الوجود العلمي يؤيده رجال العلم والفلاسفة<sup>(٤٢)</sup> . اما كيف طبق الفكر الراجدي الرياضيات في الحسابات الفلكية ، فنقول : لقد ظهر من بعض جداول الشمس ،

بأن علماء الفلك . الكلدانيين . حاولوا - مثلاً - تفسير عدم انتظام سرعة الشمس . باطراد الفوارق (التواني)<sup>(٤٣)</sup> وكذلك من خلال اكتشاف الوقت (الزمن) الذي يعود فيه كل من الزهرة وعطارد الى مقارنة الشمس ، بواسطته في دورة فلكية سميت (الشر) أو (السنة الكبرى) والتي قدرورها بمدد تصل في اقصاها الى (٣٦٠٠٠) سنة . بعد ان وجدوا ان حركة الكوكب

ادراك الزمن وتحديد مفاهيمه الحيوية فتشير « قصة الحليقة البابلية » الى ان مردوك . بعد ان صنع السماء والارض من الماء . صنع ابراجاً من النجوم تعين بيروغها وافولها . السنة والشهر واليوم . اما المشتري . فيحدد واجبات الايام واوقات ولاداتها . وفي وسط السماء . ثبت خط السموت وامر القمر بالطلوع لقياس الزمن ليلاً لذلك « راح يزبه كل شهر تاج . قاتلاً له » اذ تطع في السماء ليقس قرناك اباماً سنة . ولظهر نصف نالجك في اليوم السابع وحينما تكون بدرا . فلتواجه الشمس . ولكن حين تسبلك الشمس في كبد السماء . قلل ضيائك واعكس نموك<sup>(٤٤)</sup> . وبذلك حدد الاسلاف اسباب الحركة والزمان والتغير على هذه الارض ولكن وفق سياقات تفكيهم وادواتهم المحدودة .

## ج - الزمان بين علم الفلك والرياضيات

لقد جاء الاعتماد على التقويم القمري . دافعاً للتمييز بين دورات القمر (الشهور القمرية) المؤلفة من (٣٠) يوماً والشهور القمرية المؤلفة من (٢٩) يوماً التي توجب معالجة هذا النقص بطريقة ما من اجل ان يكون حاصل مجموع ايام اشهر السنة الاثني عشرة شهراً (٣٦٠) يوماً . وكان من بين هذه المعالجات اعتبار الايام النقص . اعياداً مكملة بعددها الكامل (٣٦٠) لتبدأ بعدها دورة حياة جديدة في سنة جديدة تكون بدايتها في نيسان . من كل عام . وليس هذا فقط . بل ولوجود عناية مشتركة للشمس والقمر . اكتشفوا الفرق بين « دورة القمر السنوية »

و « دورة الشمس السنوية » وعملوا على تحقيق الانسجام بين الدوريتين

يكس الشهر الثالث عشر القمري . بحسب اقتضاء الحاجة . وبدورات قد تصل الى (٨) سنوات . لذلك لم يستبعد البحاة طه باقراً تأثير هذا التقويم . بالتقاويم اللاحقة . لأنه تقويم مقدس<sup>(٤٥)</sup> كما لا يستبعد استفادة علم الفلك الحديث . من منجزات الفلك البابلي . والتراث الشعبي العراقي . مازال يزخر بقايا مفاهيم فلكية تتصل بالبدار ومواسم الزراعة والحصاد والتكاثر . والتنبؤ بالانواء الجوية ومعرفة الايام واتجاه الرياح . لتفسير التقلبات المناخية المقترنة بها . وتلك خاصية يشترك فيها ابن السهل الرسوبي مع ابن الجبل . وابن الصحراء مع ابن الاهوار الذين يعرفون الحسابات القمرية الدقيقة حتى ايامنا هذه . ولعل سبب الحفاظ على هذا التواصل . هو اعتماد لتقويم الهجري على الحساب القمري .

ان الاهتمام بالقمر ومتابعته . ادى الى اختراع (ايام الاسوع) الذي يعتبر من المكتشفات العراقية . وزيادة في التقنين قسموا اليوم الى

(٤٠) ايضاً ١ / ١٥

(٤١) ايضاً ١ / ٩٦ - ٩٧

(٤٢) ايضاً ١ / ٢٢٥

(٤٣) ايضاً ١ / ١٢١ - ١٢٢

(٣٥) جاكوبسن . ما قبل الفلسفة ص ٢١٥

(٣٦) مقدمة في تاريخ الحضارات ١ / ٣٥٦ - ٣٥٧

(٣٧) ابن خلدون . المقدمة ص ٤٤ - ٤٥ وص ٤٩

(٣٨) باقر . طه . مقدمة ١ / ٣٥٨

(٣٩) تاريخ العلم ١ / ١٢٧

كما يرجح تسلسل هذه الأدوار بحسب المعادلات التالية ، والتي يحتمل معها فرضيات أخرى ، ذات صلة بمضاعفات الرقم (٦٠) البابلي فتشكل كما يلي :-

$$\begin{aligned}(60 \times 1) &= (60 \text{ سنة}) \\ (60 \times 10) &= (600 \text{ سنة}) \\ (60 \times 60) &= (3600 \text{ سنة}) \\ (60 \times 10 \times 10) &= (6000 \text{ سنة}) \\ (60 \times 60 \times 10) &= (36000 \text{ سنة})\end{aligned}$$

وربما اختصت كل مدة « بدورة فلكية » لأحد الكواكب المعروفة ، حيث ان « الشر » أو « السنة الكبرى » لا يتحقق الا في سلسلة متوالية ؛ ومتوافقة مع الأوضاع بين الشمس والقمر والكواكب الأخرى ؛ تنتظم خلالها مواقع المنظومة الفلكية (الدورية) ؛ لذلك ، فالخسوف والكسوف ، عادة ما يحدث أثناء سلسلة من السياقات الفلكية التي قد تبدأ من ثمان سنوات<sup>(٤٩)</sup> تتوازن فيها الحسابات الشمسية والقمرية كما تضمنتها الجداول الفلكية ، وتصل هذه المدة الى (٦٠ سنة) . مع ذلك تبقى شكوك سارتون بصدد المفكر الذي عبر عن هذه المدة (الشر) ؛ (١٨ سنة) من اليونانيين صحيحة ؛ حيث عزاها الى وقت متأخر<sup>(٥٠)</sup> وهو ما تنبه اليه ادماند هالي<sup>(٥١)</sup> ايضا ، بفضل اعتماد كلا الباحثين على ملاحظة « جيارو » البابلي ؛ لذلك قال سارتون : ان مدة الشر - بهذا المعنى اليوناني المتأخر - غير كافية للتنبؤ بخسوف القمر (خلال ١٨ سنة) اذ ان اكمل دورة فلكية له تتم في (٥٤ سنة و ٣٤ يوما .<sup>(٥٢)</sup>

عليه تعود مرة اخرى الى طرح احتمالات البحث بصدد مفهوم مدة الدور (الشر) فنقول ان اقصر دور زمني يتحقق في النظام الكوني . على تماس مباشرنا هو « اليوم » الذي وجد له الانسان الراقدي . مناسباته وطوقسه ؛ المستنبطة من الحياة العملية ؛ استهدف من ورائها ؛ تفسير وتعليل التغيرات الشاملة في الطبيعة والحياة ، من خلال حركة غير متوقفة حركة دائرية تمارسها الكواكب ؛ (الاسباب البعيدة) لكي تكتمل دورتها (السنة الكبرى)<sup>(٥٣)</sup> ثم تعود من جديد دورة الحياة ؛ وحركة الفلك الدائرية ؛ وهو ملاحظه الانسان العراقي القديم في (شروق الشمس وغروبها) وفي مثل اوسع ، « موت وعودة نموز » و « جفاف المياه وطفغانها » وانخفاض الحرارة ، والحريق العام « وهو اسماء - فيما بعد - هيراقليطس ايضا ، « السنة الكبرى »<sup>(٥٤)</sup>

في فلكه ، دائرية تنتهي في النقطة التي بدأت منها . وهي ذات الفكرة التي ظهرت فيما بعد عند هيراقليطس ، وافلاطون ، من فلاسفة اليونان ، وان تفاوتت الفترة التي يكتمل فيها ذلك (الدور) وتلك المدة عبروا عنها بكلمة (شر Sāros) ذات الاصل العراقي القديم<sup>(٤٤)</sup> . وان بدت هذه الكلمة غير واضحة المعنى ، حتى بعد الدراسة التي قام بها احد الباحثين<sup>(٤٥)</sup> دون ان يقرر مقدار المدة التي يستغرقها ذلك (الدور) .

وكل ما يمكن استنتاجه ، ان كلمة (شر) تقال على « مدد مختلفة » ، بحسب الدورات الفلكية ، للكواكب . لايجمعها جامع الا « الشر » - الدور - الفلكي .

ولما كانت مسارات هذه الكواكب : تتفاوت بتفاوت دائرة (محيطها) وسرعة حركتها ، وجدنا الفرق ، واضحا في تسمية مدة « الشر » . وعليه يمكن القول ان هذا « الدور » قد يبدأ من (السنة الواحدة) ويصل الى (٣٦٠٠٠) سنة ، مما يصبح معه دخول أية فترة اخرى ، في هذه الحدود ، امرا طبيعيا ، وهو ما يقال عن السنة الكبرى السومرية التي تصل الى (٣٦٠٠) سنة .<sup>(٤٦)</sup>

ومما لاشك فيه ، ان مضمون « الدور الزمني » المعبر عنه بـ « شر » غير منفصل عن الفهم الفلسفي ، كفكرة الزمان ذات الابعاد الفلكية والرياضية وكان لبرسيوس البابلي (القرن الرابع قبل الميلاد) الفضل في تسجيل هذه الفكرة ، وحفظها لنا ، وان كانت تعود الى ابعد من زمنه بكثير ، حيث سبقه في الحديث عن ادوار الزمان الفلكية ، هرمس البابلي<sup>(٤٧)</sup> (القرن السادس قبل الميلاد) والذي كان - قطعا - يوزج لنا تداولها بين الاوساط العلمية في وادي الرافدين منذ قرون خلت .

ومهما يكن أمر العلماء ، وتقديراتهم الفلكية لدورات الزمان واسمائهم ، تبقى أمام الباحث شاحصة بوضوح مسألة التوظيف الرياضي لهذا الجانب الفكري ، والذي كان - على ما يبدو - سبباً في تمييز الفكر البابلي بين ثلاثة « ادوار »<sup>(٤٨)</sup> سماها الأغريق ، بأسماء مقاربة ، لكنها تدرج جميعا في دائرة الحساب الستيني ؛ الذي هو سبعة علم الفلك البابلي ، وهي :-

- ١- شوسيس Sasso (٦٠ سنة) = (٦٠ × ١)
- ٢- نارس Nerasse (٦٠٠ سنة) = (٦٠ × ١٠)
- ٣- شيروس (شروس) Sārose (٣٦٠٠ سنة) = (٦٠ × ٦٠)

(٤٩) ايضا ١ / ٢٥٩  
(٥٠) ايضا ١ / ٢٨٢  
(٥١) Edmand, Halley. Oneuge baner, anter Suchungen. Zurōn Tiken As Tron omie mDiebabylon cheis Theoric Berlin, 1938 p: 295 & 407-419.

(٥٢) تاريخ العلم ١ / ٢٨٣  
(٥٣) السومريون وتراثهم الحضاري ٧٨ - ٨١  
(٥٤) تاريخ الفلسفة اليونانية ط ٤ ص ١٨

(٤٤) ايضا ١ / ٢٥٨  
(٤٥) Caralal, Mullerus, Fragmenta his Toriconm gracorū. Paris. 1851 Vol 4 p. 280.

(٤٦) الأحمد ، د. سامي . السومريون وتراثهم الحضاري ص ١٧٤ . راجع ايضا الطوفان ص ١٨ وما بعدها .  
(٤٧) كوربان ، هنري : تاريخ الفلسفة الاسلامية بيروت ١٩٦٧ ص ٢٠٠ راجعها في ابن النديم ؟ الفهرست ص ٥١٠ وتناول مساهماته الفلكية . الشهرستاني : في الملل والنحل : تحقيق الوكيل ٢ / ١٠٣  
(٤٨) تاريخ العلم ١ / ٢٨٢



متابعا خطى البابليين في ذلك الوقت . وان طرح تفسيراً ساذجاً لدورة اليوم خلاصته « ان الشمس تنطفئ (مساء) بالماء ، ثم تعود الى الظهور في الصباح » (٥٥) التالي .

وكما قال افلاطون : بالدور الزمني ( السنة الكبرى ) التي حدد فترتها بـ ( ١٠٠٠ سنة ) (٥٦) واحياناً اخرى تصل الى ( ١٨٠٠٠ سنة ) . وبين الفترة الاولى والفترة الاخيرة احتمالات كثيرة عن « الدور الزمني » حتى فسي الحسابات اليونانية .

عليه نقول : ان حسابات الزمن لدى البابليين ، غير منفصلة عن العدد المقدس (الستين) الذي وحد منطقات واسس علم الفلك هنا . على خلاف ما وجدناه لدى فلاسفة الاغريق ، فالسنة الكبرى البابلية لم تعد في مسارها الكوني ( ٣٦٠٠٠ ) سنة من السنوات الاعتيادية المرتبطة بالدورة الزمنية . للكواكب (السبعة) المعروفة ، انذاك ؛ وهورقم كما يقول - ويلرايت - موضوع على اساس اخر ، غير التقدير الفلكي الدقيق ؛ ولعل ( الازل والابد ) للدورة البابلية تتجلى بظاهرتين متناقضتين ؛ تؤشران اكمال الدور ونهايته ؛ ونعني بهما ( الفيضان العام ) او ( الحريق العام ) لتبدأ بعدها دورة حياة جديدة « فحين يحدث اتصال الكواكب في برج السرطان تنخفض كل الاشياء الى ماء ، وحين يحدث في برج الجدي فان كل الاشياء تتحد مع النار او تفتنى فيها » (٥٧) .

في حين وجدنا « السنة الكبرى » لدى اليونانيين موزعة بين ( ١٨ سنة و ١٠٠٠ سنة و ١٠٨٠٠ سنة ) تفتقر هي الاخرى الى المقياس الذي تؤشر فيه خاتمة المطاف للدور الفلكي ؛ باستثناء المدة المقدرة بـ ١٠٨٠٠ سنة ، فانها مرتبطة بظاهرة السعد والتفاؤل لانها حصيلة علاقة معالم الفلك معبراً عنها بالمعادلة ( حاصل ضرب ٣٠ × ٣٦٠ = ١٠٨٠٠ ) (٥٨) التي تعني ( حاصل ضرب متوسط عمر جيل الانسان والجيل الثاني وهو ٣٠ × فكرة الكمال المصاغة من عدد ايام السنة ، او درجات الدائرة الكونية البالغة ( ٣٦٠ ) وهو عدد درجات اليوم في الحساب البابلي ، ونلاحظ هنا ان الفلك اليوناني وفكرة ( السنة الكبرى ) لم يفتنا من تاثيرات الفلك البابلي القائم على الحساب الستيني ؛ علماً ان اليونان مالوا الى الحساب العشري . ولاندرى لماذا لم يوظفوه في نظرياتهم عن ( السنة الكبرى ) وليس هذا فقط ، بل حتى في تحديد الدور الفلكي لهذه السنة بـ ( ١٠٨٠٠ ) سنة ، وهي التي تشير الى الدور السعيد ، لانستبعد التأثير البابلي فيها ، حيث مارس الانسان اليرافدي طقوسه معبراً عن نظرة متفائلة ، يكررها في كل مطلع سنة جديدة في ( نيسان )

( احتفالات عودة تموز ) كناية عن مظاهر التغيير والتجدد الايجابي وثماره قوى الخلق والاعتدال في الربيع ؛ وهو طقس متفائل بين الطقوس الدينية ذات المغزى الحيوي الايجابي (٥٩) . انها عملية التجديد السنوي ، التي

نظر اليها كما ينظر الى النبع المتدفق دوماً او مثل نهر سريع الجريان لا يعيقه معوق . كناية عن ديمومة الحركة في الطبيعة ؛ او ما عرف بفكرة « الزمن لسيل » المرتبط بازل بعيد وابد يصعب تحديد نهاياته ؛ لانه لا يجري على خط مستقيم ، بل بحركة دائرية . كلما انتهت فيها دورة ، بدأت الاخرى ؛ وتلك هي سنة الحياة ، معبراً عنها بحركات الاجرام السماوية ودوراتها الفلكية انها العلل البعيدة للتغيرات الحاصلة على الارض ، ممثلة بالفصول المتعاقبة ، وبمظاهر التغير المتنوعة .

اما الاشارة الى ( الزمن السابق ) او ( الماضي البعيد ) السابق لعصر الناس ، فهو الاخر لا يفتقر عن النظرة المنشئة بتراث الاجداد ؛ انه ( العصر الذهبي ) حيث السعادة الشاملة ترفرف على كل تخوم الارض بفضل الاعتدال الحاصل في عالم الفلك . ففي عصر السعادة الشاملة ، كل الاشياء والافلاك ، تتطابق مع بعضها ، تطابق درجات الدائرة ( ٣٦٠ درجة ) اما محاولات الانسان اللاحقة على ذلك العصر فهي محاولات متشبثة ؛ استهدفت معالجة فكرة ( النكوص ) - السقوط - من الاحسن الى الاسوأ . لكنه سقوط متفائل ( غير نائس ) اجتمعت على القول فيه الاديان والفلسفات والعلوم الاولى بقصة هبوط آدم وحواء ، والثانية بهبوط النفس ( الروح ) والثالثة بفكرة مجيء الانسان من الكواكب الاخرى وهي ذاتها التي عبر عنها الانسان اليرافدي ( بالزمن الاول ) ( او هو ) وعبر عنها اليوناني بفكرة « كرونوس » التي لانستعد وقوع التأثير المتبادل فيها (٦٠) .

#### ٤- المحاكمة بين الافكار .

اذا كانت « الدورات الزمنية » معبراً عنها بـ « الشر » هي اقصى ما تحدث عنه الانسان اليرافدي ، وهو يحاول الاجابة عن « سر » التغيرات « الحاصلة في الكون على قاعدة « الترابط السببي » فلم تأت هذه الفكرة ( الادوار ) الا تعبيراً عن كون الزمان لم يكن خارج المجرى العام للحياة . انه مراحل متعاقبة متواترة ، تؤشرها الأحداث ، التي تعود بدورها ، بعد حين ، لتصبح جزءاً منه ، ( الزمان ) كما تتوسطها حياة الانسان بكل صخبها ، بسبب وقوعها بين مراحل ( الماضي البعيد ) السعيد ، والمستقبل المجهول ؛ والسنة الكبرى ، عنده نقطة النهاية والبلدية ، في آن واحد ؛ حيث يعود فيها الماضي مستقبلاً ، لذلك وجدنا حركة التاريخ في ضوء هذا الفهم ، حركة تراجع « تقدمي » ينتهي فيها الانسان الى حيث نقطة الأبداء ، عليه يمكن ان نعتبر فكرة ( الدور الزمني ) عزاء للنفس التي فاتتها لذة التمتع في سعادة الماضي ( الذهبي ) .

نقول هذا ونحن نتفحص جيداً ما ذهب اليه جان قال في قوله : « ليس للزمان عند الأقدمين ؛ اية أهمية ، اذ بدت الاحكام الاخلاقية والجمالية والرياضية في نظرهم فوق كل زمان . والزمان عندهم ، له أهمية سالبة ، وهو

(٥٨) المصدر السابق ص ٦٧

(٥٩) جاكوبس ، ما قبل الفلسفة ص ٢٣٦ - ٢٣٧ ( القسم الخاص بسوادي اليرافدين )

(٦٠) عالم الفكر : الزمان في الفكر الديني .. ص ٤٤١ ، كذلك : هيراقليطس ص

(٥٥) هيراقليطس فيلسوف التغير ص ٦٣ . افلاطون : الجمهور بـ ص ١١١

(٥٦) افلاطون : الجمهورية . دراسة وتحقيق د. فواد زكريا ص ٤٧١ و ٥٨٣

(٥٧) ويلرايت : فيليب . هيراقليطس فيلسوف التغير : ترجمة عبدالراجحي ، ط ١ اسكندرية ١٩٦٩ ص ٦٦ - ٦٧ والمعمد على

C.F. Nircea Eliade, the mgrh of the Eternal, Retarnl Bolling inseries & LV, Oantheon. Books, 1954.

في حد ذاته ، تدهور وانحطاط - الحقيقة في الماضي ، والماضي الأزلي .  
دون نظريتي الزمان » (٦١)

وهذا ما لا يستقيم حقيقة ما وجدناه . من توجه حيوي مثلته فكرة « التجدد » المستمر في حياة الإنسان وفي الأشياء . التي اسقطت الحكم على النظرة القديمة في كونها نظرة ( متحجرة ) وليس ادل على ذلك من الانتهاج بهزيمة القوى القديمة « قوى العماء والتخلف » التي كادت تحول دون تطور المجتمع . ولكن انتصار عناصر « الحركة والعمل » والتجديد انهي ذلك التخلف . ثم ان الزمن لا يقصد به الماضي فقط . لكي نهمل ابعاده الأخرى . ثم اين نضع نظريتهم في « الادوار الزمنية » وماذا تعني الولادات المتجددة . اما الافكار التي طرحها هذا الفيلسوف حول « القيم الأخلاقية والجمالية » المعيارية : فلا تصدق على الفكر الرافدي . وبخاصة بعد ان لمح الى شخصيات غير عراقية مثل « اسكيلوس وليوقريطيس » . عليه نقول ان الفكر الرافدي تضمن المفاهيم التالية عن الزمن :

أ- الزمن المطلق ( الماضي والمستقبل ) الذي يقع خارج العالم المادي .  
والمرتبط بالكون وحركته السرمدية . وعلى امتداد الدورات الفلكية ( انه الارز والأبد ) .

ب- الزمن النسبي . الذي بدأ مع الموجودات . مع الخلق الاول ويمكن تقسيمه الى :

اولاً : الزمن الفلكي . الذي يعين بدء الدورة ونهايتها . ( السنة الكبرى ) ( الشر ) ( الدهر ) .

ثانياً : الزمن الحيوي . المتوسر بتعاقب الليل والنهار : والمراحل التقويمية . انه الزمن المحسوب ( المقنن ) الذي يعتبر جزء من الزمن الفلكي . ويعبر عنه بـ « المدة » ، والزمن . والوقت . والسنة والشهر . واليوم والساعة والبرهة . والآن » انها المفاهيم المتصلة بظواهر التغيير على هذه الارض بمعنى انه متصل بعملية ( التغيير ) . وغير منفصل عن حركة الأشياء : اذا لم يكن هو شرط وجودها .

بالمفهوم الفيزيائي والمفهوم المنطقي . عليه نتفق مع ما ذهب اليه الاستاذ الأوسي حينما قال « ان الزمان يساوي الوجود . زمان الشيء هو وجوده . سواء اكان الموجود ساكناً او متحركاً » وهذا الفهم - في رأينا - يتضمن نصف الحقيقة . لأن انتفاء مفهوم الزمان بالنسبة للإنسان الذي سوف يموت . لا يعني انتفاء مفهومه للبشرية فالزمان موجود مادامت اجناس الأشياء وانواعها موجودة . وان فنت الافرادها . لذلك نقول : لكي تكتمل الحقيقة لا بد من الانتباه الى الجانب المنطقي في الزمان . وان لم يصرح به المفكر الرافدي بوضوح فسي سطور الوثائق التي وصلتنا . مما لا يترك مجالاً للشك . في توحده رؤية المتفلسف مع رؤية الإنسان العادي حينما ادركنا وجود الزمان وجوداً موضوعياً ( خارجياً )

مقترناً ( بالوجود ) يؤكد الفهم الفلسفي . ومن غير المقبول ان نلغي الفهم الفلسفي للزمان قبل افلاطون . ونحن نقرر من جانب الصفة الفلسفية فسي

الافكار الواردة عن الزمان قبل افلاطون . (٦٢) ومجرد دخول الزمان في وجود الأشياء موضوعياً يؤيد دلالة الفلسفة . وبخاصة وان الشهادة على فلسفة الزمان عند افلاطون . بحاجة الى ما بعد هذا . وبالذات وهو يتحدث عنه بذات الاطار الذي وجدناه في الفكر القديم وان جاء بلغة اخرى . حيث ابدل « عالم الافلاك » الدائري الابدي . ( بعالم المثل ) (٦٣) وهو موطن الزمان السرمدي يقابله الزمن النسبي في العالم الأرضي .

وزيادة في تطمين القارئ الفاضل . بأصالة الفهم الرافدي للزمن . نقول : تجاوزت بعض تفصيلات حياته المفاهيم الآتفة الى الحديث عن ( الزمن النفسي ) المقترن بالسعادة الحاضرة ( الآتية ) لا كما ظن جان قال . فهذه سدوري ( صاحبة الحانة في ملحمة جلجامش ) تطرح فكرة الزمن ( الحاضر ) . الآن - وتذكر جلجامش به . باعتباره محور نشاط الإنسان ! فاقترحت عليه ان يستغل كل دقيقة من دقائق حياته . على قاعدة « عش ليومك » وهو ما عبر عنه الخيام بعد قرون عديدة بقوله « فاعنم من الحاضر لذاته . فليس من طبع اللبالي الامان » وتحذره من ( لاجدوى ) البحث عن ( الخلود ) الذي يعني مع ما يعنيه ( توقف الزمن ) او العيش خارج حدوده ! وهو مستحيل على الانسان ( الفاني ) ( الخلود من سمات الالهة ) وبذلك وضعت سدوري ايدنا على مناطق نفوذ الزمان واقسامه ( فالزمن السرمدي في عالم السماء ) اما الزمن النسبي فهو في عالمنا الأرضي . وان لم يتفق ذلك مع طموح جلجامش المتحفز نحو ( المستقبل ) المتفائل (٦٤) .

اما فكرة ( التاريخ ) التي هي حساب الزمن النسبي ( الحيوي ) بالحوادث المهمة . فلقد عرفها العراقي القديم . فجرى الحديث عن ما قبل ( الطوفان ) وما بعده وبذلك وظف الحادثة لمعرفة مراحل الزمن . ثم عاد ونظر الى هذه الحوادث باعتبارها اجزاء من الزمن . وهي ما سمىه ( بالتاريخ ) . وهو يضعف ما ذهب اليه فرانكفورت . من ان الانسان الرافدي لم يعرف فكرة الزمن . التي تشكل اطار التاريخ لنا . (٦٥) اي اراد ان يقول لنا انه لم يستخلص له فكرة مجردة عن الزمن . وهو ما لا ينسجم مع ما وصلتنا من معلومات أثرية عن كثير من معالجاته ( العملية والفكرية ) دون ان ينسى عائدته الى هذا الكون المنظم . مع معرفته للصلة السببية التي تربط اجزاء هذا الكون . والانسان جزءاً منها . والمجتمع الانساني كالمجتمع الكوني . دون ان يفصل بين ما يجري على هذه الارض وبين الاسباب الفلكية .

تم . ماذا سنقول عن اعترافات قدماء اليونان بفضل الجهود البابلية في دائرة الزمان : فهنا هيرودوت يعترف بنسج افكار البابليين : واهمية جهودهم في تقنين الزمن . فيقول « تعلم الاغريق ان نومون Nomom والبولوس Polose . وتقسم اليوم الى اثني عشر قسماً من البابليين » كما تعلم الكثير من مفكري الاغريق قبل هيرودوت وبعده . من نظريات الشرق العربي ( البابلي ) . كان منهم طاليس وفياتاغورس وهيراقليطس وانابادوقلس

(٦٣) افلاطون . الجمهورية ص ٤٥٤ - ٤٥٥ و ٤٧٦ و ٥٧٦ و ص ٥٨٣  
(٦٤) ملحمة جلجامش اللوح الحادي عشر ص ١٣٤ - ١٣٨ و ص ١٥٠ - ١٦٦ - ١٦٧  
وعالم الفكر ص ٤٩٠  
(٦٥) ما قبل الفلسفة ص ٣٦ و ٣٩

(٦١) قال ، جان : طريق الفيلسوف . ترجمة د . احمد حمدي محمود مراجعة د . ابوالعلاء عفيفي القاهرة ١٩٦٧ ص ٢٤ - ٢٥

(٦٢) الزمان في الفكر الديني القديم ص ٥٠ وفي عالم الفكر ص ٤٤٣ - ٤٤٤

لم نور النجوم والشمس والسماء . لما نطقنا بكلمة واحدة مما قلنا عن الكون . اما الان . فان مرأى الليل والنهار . وتعاقب الاشهر . ودورات السنين . قد خلقت الاعداد . ومنحتنا فكرة الزمن . وقدرة البحث في طبيعة الكون ، ومن هذا المصدر استتبنا الفلسفة . وهي الخير الذي لم يهب الالهة الأنسان الفاني ولن يهبوه خيراً اعظم منه .<sup>(٦٨)</sup> وبذلك تحدث هذا الفيلسوف عن نفسه وعن الذين سبقوه أكثر مما تحدث عنهم الآخرون .<sup>(٦٩)</sup>

### الخاتمة :

مثلما اجتهد الأنسان الرافدي في تسهيل طرائق عيشه كذلك امعن النظر وحكم العقل في كل ما يجري حوله . ولما كانت المسألة الفلسفية الاولى في الوجود . هي مسألة « الحياة والموت » كانت قصة التصاق الأنسان بالزمن : من خلال متابعتة للتغيير . وبآثاره البادية حسياً ثم بحث عن الاسباب الكامنة وراء تلك التغيرات . وهو يواجه يوماً ظاهرة « تعاقب الايام والليالي » و « تنالي الايام والشهور والفصول » ويحرص على ان يخضع « المدة » التي اقتضتها الاحداث المتتالية . الى الحساب . ويربطها بالافلاك ، ويعبر عنها بالادوات والأجهزة . مما يشير الى ادراك مفهوم « الزمن » دون فصله عن التغيرات او الاشياء .

ويمكن ان نتجاسر ونقول : ان ذلك الادراك كان في ابعاده ( المطلقة ) و ( الازلية ) و ( النسبية ) مع عدم تفريطه بالصلة التي تربط بين هذه الابعاد . مما يغري بوجود لمحات فلسفية كانت تؤطر التصورات المطروحة عن الزمن ( الحيوي ) الموضوعي . ذات المواصفات الفلسفية ( طبيعية ) و ( ما وراثية ) و ( منطقية ) و ( عقيدية ) و ( عملية ) تخرج بتقويمنا لمستوى الادراك الذي كان عليه الأنسان الرافدي . من دائرة ( البدائية ) التي وصفه بها البعض ( تجاوزاً ) الى ميدان البحث الفلسفي . الجدير في ان يجد مكانه اللائق في سياق دراستنا لتأريخ الفكر الفلسفي الانساني . ولمسيرة التراث العلمي العربي . في عصوره القديمة .

وغيرهم كثيرون<sup>(٦٦)</sup> كل ذلك يسقط التفسيرات غير الموضوعية التي طرحها فرانكفورت عن مفهوم الزمان عند العراقيين القدماء . حينما انكر « وجود فكرة للزمان واضحة ومستقلة عند البابليين . وذلك بسبب اقتران تلك الافكار لديهم بالعوامل العاطفية والمشئية » وكأنهم شعوب وقبائل بدائية فجاءت فكرتهم عن الزمان - كما ظن - كيفية ومجسمة . لقولهم بوجود علاقات سببية . فيما اعتبره هو . اقترانات فكرية . مردها تفسيرات بدائية اعتمدها الفكر الرافدي . في سياق محاولاته الفلسفية . . وليس امامنا الا ايراد الالتفاتة الذكية التي اجتزتها لنا الدكتور الالوسي عن الفيلسوف المعاصر ارنست كاسيرر<sup>(٦٧)</sup> وهو يتحدث عن الزمن البيولوجي لدى الفكر الميثوبي حيث ان الزمن عنده . مرتبط بمنظار بشري . لأن تعاقب الفصول وحركات الاجرام السماوية . كلها تسير وفق خطة مماثلة . لخطة حياة الانسان . ومرتبطة بها . ولن تخرج عن الفهم العقيدية . او التفسير الفلسفي للكون . وموقع الأنسان فيه . حيث نظر الانسان الى الكون ( العالم ) على اساس ( الغائية ) و ( النظام ) فلا عبثية فيه ولا فوضى . وانما كل ما يجري فيه . وفق قوانين وانظمة ومراتب . لذلك جاء تفسير الأنسان الرافدي للزمن . معتمداً على اساس ان مراحل ( دورانه ) وتعاقب فصوله ليست عملية تعاقب تلقائي . عشوائي . لامتني لها . بل هي حالة « صراع » بينهما ( جدل ) . صراع بين الازدواج لانهاية له . تتخلله حالات توافق وانسجام . عبر عنه في سياق بحثه عن ايام السعد . وعن الوقت المطلوب . بين ثنانيا الجدول الفلكية ليصار الى تنويع الملك مع البداية الجديدة لدورة الطبيعة . ومهما كانت وسائل ذلك التحديد . تبقى في اطارها السببي المستند الى خبرة عمرها ثلاثة آلاف سنة لعلم الفلك البابلي . مما يسقط الحكم القائل ببدائية الفكر الرافدي ويدل على ان الزمن لدى الانسان الرافدي « لم يكن اطاراً مجرداً محايداً لما يجري في الحياة . وان كانت هناك فجوات هي بمثابة « مناطق معينة من الزمان . تحتجب عن التجربة المباشرة . فتثير الفكر التأمل ، لكن هذه التأملات جاءت بمثابة الاختبارات السايكولوجية التي لا يجمعها مع التصورات البدائية جامع وهو ما لخصه لنا افلاطون في محاوره طيمائوس قائلاً لو كنا

(٦٨) ما قبل الفلسفة ص ٢٩٠

(٦٩) كاسان . مدام ايلينا ، مفهوم الزمان والمكان في وادي الرافدين القديم . ترجمة د . وليد الجادر منشور في مجلة سومر العدين الاول والثاني - المجلد ٣١ لسنة ١٩٧٥ ص ٣٢٧ - ٣٣٥

(٦٦) مقدمة في تاريخ الحضارات ١ / ٣٦٠ - ٣٦١ . راجع ايضا : الفلسفة اليونانية ص ١٢

(٦٧) عالم الفكر ص ٣٧ ٤ . المستند الى فرانكفورت . ما قبل الفلسفة ص ٣٣ - ٣٦ راجعه في كتاب الزمان ص ٤٠

